مناهج البحث العلمي ومصادره

د. خالد محمد النقية

المحاضرة الثامنة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، مرحبًا بكم أحبتي مرة أخرى في هذه الحلقة من مادة مناهج البحث ومصادره، والذي تقدمه لكم أكاديمية تفسير لعلوم القرآن، ضمن برنامج السعدي المستوى الأول. هذه المحاضرة سوف تكون مخصصة لمناقشة:

الخارطة الذهنية لخطوات البحث العلمي.

الخارطة الذهنية أو ما يسمى Mind map هي تقنية جديدة، أستاذها وأبوها وجهبذها هو **توني بوزان** Tony Buzan وهو الذي اكتشف أو اخترع الخارطة الذهنية. وحتى نعرف ما معنى الخارطة الذهنية قد يحتاج الأمر إلى أن تأخذوا فيه دورة متكاملة، وأنا أؤيد بل أحث جميع أبنائي الطلاب وإخواني الزملاء بأن لا يفوتوا الفرصة عليهم في حضور أقرب دورة لدراسة ال Mind map لأنها تعين كثيرًا على السرعة في الأداء، وعلى الدقة في التنظيم، وعلى حشد معلومات كبيرة جدًا من خلال الصورة والرسم.

كما هو معلوم، يوجد عدة أنماط من العقل البشري (الذاكرة البشرية): هناك العقل الصوري (الذاكرة الصورية)، هناك العقل الحسي (الذاكرة الحسية)، هناك العقل البصري (الذاكرة البصرية)، هناك العقل السمعي (الذاكرة السمعية)، وهكذا

الخريطة الذهنية: تعين كثيرًا أولئك الذين يعتمدون على البصر بالتعلم، ويعتمدون على الترتيب والتبويب. فأنت قد تدرس أي علم من العلوم، وتبدأ تدخل فيه مباشرة دون أن تضع له أطراً معينة، أو ترسم لك فيه وجود أو طريقة للوصول إليه، مثلما تريد أن تذهب إلى مكان معين، فتشغل سيارتك وتنطلق على بركة الله، وتسلك أي طريق يذهب بك تذهب إليه، فيطول بك الطريق كثيرا وقد تتوه. ولكن إذا أخذت الخارطة بين يديك ثم فتحتها ورأيت هذا هو العالم، وهذه هي دولتي، وهذ هي مدينتي، وهذا هو الحي المقصود، وهذا هو المكان الذي أريد الوصول إليه، وترسم طريقك ذهنيًا، تأخذ الشارع اليمين، اليسار، تستمر، وهكذا حتى تصل إلى مكانك، فأنت بذلك تسير وفق خارطة مرئية. البحث العلمي كذلك يمكن أن تضعه في خارطة ذهنية، وهذه الطريقة تعين كثيرًا.

ما هو الهدف من استخدام الخارطة الذهنية؟

الهدف هو أن استخدام الخرائط الذهنية يعطي الإنسان قدرة كاملة على استغلال خلايا المخ بالكامل. هل تعلم أن المخ يحتوي على (تريليون) خلية عصبية (وهو عبارة عن عدد يكون فيه الرقم واحد وأمامه ثمانية عشر صفراً 1,000,000,000,000,000,000، أو يكتب بالشكل 10^{18})، بمعنى ما يعادل تقريبًا مجرات الكون. وهل تعلم أن

العقل يستطيع تخزين أكثر من خمسة وستين ألف معلومة جديدة كل ثانية، وهذا كلام علماء الذاكرة. طبعًا نحن الآن نفكر بصورة أسرع، لأن عقولنا تستطيع أن تعالج اثنين مليون معلومة في الثانية، أيضًا نحن لا نفهم كثيرًا بأن هناك أكثر من مائة ترليون وصلة محتملة في المخ، الذي خلقه الله وزودنا به، لو قلنا أن أعظم أو أكبر كمبيوتر في العالم يؤدي وظائفه بدقة في 0,00002 (اثنين في المائة ألف جزء من الثانية)، فإن مخ الإنسان الذي ركبه الله فيه هو أكبر وأسرع وأعقد بكثير من هذه الأجهزة، لأن الذي أوجد هذه الأجهزة هو الإنسان، ومن الذي خلق الإنسان؟ هو رب الإنسان، وبالتالي تعالى الله سبحانه أحسن الخالقين، ولكن نحن لا نستخدم إلا جزءاً بسيطاً جدًا من هذه العقول، وذلك بسبب طرائقنا في التعلم، كما قلنا قبل قليل أن المخ وعقل الإنسان عقل كبير، وذلك أن الله سبحانه وتعالى ضرب به أمثلة كثيرة في القرآن ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 179]، وكثيرًا من الآيات ذكر الله تعالى فيها: أفلا تعقلون، أفلا تتفكرون، أفلا تتذكرون، ... فهذا التذكر وهذا العقلان، وهذا العقل هو جهاز مهم جدًا في رأس الإنسان، لابد أن يستغل. فإذن، كيف يعمل العقل؟ مثلاً الآن تأتي معلومة معرفية واحدة، وتأتي بعد ذلك النتائج بعدها.

من أهمية الخرائط الذهنية أنها تساعد الإنسان عن طريق تحديد المعرفة، وتبويبها، وتفصيلها بالرسوم، سواء كانت هذه الرسوم جداول، أو عن طريق شجرة، أو عن طريق تفريعات، أو عن طريق أمور كثيرة، كما سيأتي معنا، ثم يقوم الإنسان بجمعها، وعقل الإنسان يعمل بطريقة عجيبة جدًا لجمع هذه المعلومات التي في الخرائط. والتخيل هو أهم من المعرفة، لأنك عندما تتخيل وتتصور في ذهنك المعرفة، تستطيع أن تدخل فيها الملايين من المعلومات، ولكن المعرفة عندما تأتي بكتاب وتقرأ معلومة تأخذ هذه المعلومة المكتوبة على أنها جزء واحد، لكنك إذا تخيلت هذه المعرفة وأغمضت عينيك ثم ربطتها بأمور أخرى ستجد عجبًا عجابًا، ستجد أنك استطعت أن تصل إلى أمور رائعة جدًا.

من أهم العبارات التي قالها **ألبرت أينشتين** يقول: **"الإنسان يذهب في رحلة في عالم المعرفة من خلال التخيل"**.

وبالتالي نجد هذه العبارة عبارة مهمة جدًا لأنه كما يقال بأن دماغ الإنسان مكون من قسمين أو من فصين، الفص الأيمن للخيال والإبداع Creativity, Art awareness, Intuition, Imagination، والفص الأيسر للتفكير والترتيب والمنطق Analytical thoughts, Logic, Numerical skills, language، ولكل فص خصائصه، إذا استطعت أن تجمع بين هذين الفصين، فص التخيل والابداع وفص التفكير والترتيب والمنطق، فإنك تستطيع أن تصل إلى جزء كبير جدًا من جمع المعرفة وبالتالي إلى الاختراع.

وهذا يظهر بالأمثلة على الخرائط الذهنية، فالعقل كما قلنا يأخذ الصورة، وترسخ الصورة في الذهن أكثر مما ترسخ فيه الكلمات، ويكون الأفضل عندما ترتبط الكلمة بالصورة، فهنا يكون الجهد واضحاً - سنتحدث بعد قليل في كيف نستثمر الخريطة الذهنية في البحث - لكن دعونا نأخذ بعض الأشياء حول الذهن، إذا استخدمنا كما

قلت فصي المخ الأيسر والأيمن، فإننا نستطيع أن نربط بينهما من خلال الخريطة الذهنية. وكما قلنا أن عقل الإنسان عبارة عن خلايا، هذه الخلايا أعصاب تحمل المعلومات، لو أمكننا أن نضع عقلنا أو نضع عقولنا في صيغة شبكة متواصلة، فإننا نستطيع أن نتذكر كل شيء بسرعة البرق إذا كان مصنفًا، ولكن إذا كانت المعلومات في أذهاننا كأنما هي غرف مغلقة أو علب، كل علبة فيها معلومة مغلقة، هنا لا تستطيع أن تصل لها بكل سهولة، أنت ستقول مثلاً: المعلومة الفلانية سأجدها في الجزء الأيسر من المخ هذا ما يسمى التعليم بالتعليب، أما التعليم بالشبكة فهو يجعل المعرفة متداخلة سهلة الاستحضار، سهل ربطها بما قبلها وبما بعدها وبالتالي يكون استحضارها سريعًا، ثم تكون المسألة أسهل جدًا عندما تربط هذه الشبكة بصورة كذلك، فتربطها بها بدقة فبذلك ترسخ بذهنك رسوخًا كاملاً.

تعريف الخريطة الذهنية: هي أداة تساعد على **التفكير والتعلم والتذكر**. إذن العملية العقلية تشمل ثلاث أشياء: تفكير، وتعلم، وتذكر.

1. المهارة الأولى هي مهارة التفكير: قد تفكر ولكنك لا تتعلم، بمعنى أنك قد تستلقي في مكان ما مغمض العينين وتفكر أو تفتح عينيك وتفكر في هذا الكون الفسيح في معلومة معينة في أي شيء تفكر فيه، ولكن مجرد التفكر بذاته (useless) ليس له أهمية دون استثماره وإنضاجه.
2. المهارة الثانية وهي مهارة التعلم: ماذا تعلمت من هذا المشهد الذي أنا أفكر فيه، أنظر إلى أجرام، إلى السماوات وإلى الأجرام فيها، أنظر إلى الأرض، أنظر إلى الواقع، أفكر حتى في مسألة معينة، ثم أخذ جزء التعلم منها كيف أربط هذه المعرفة بشيء يفيدني في مجال التخصص أو في مجال البحث.
3. المهارة الثالثة وهي مهارة التذكر: أنت الآن تفكرت ثم تعلمت ولكن كيف أتذكر ما تعلمته؟ قد أقرأ هذا الكتاب قراءة تأخذ مني ساعتين أو ثلاث ساعات أياً كان الوقت، ولكن أغلق الكتاب وأسأل نفسي: ماذا أتذكر منه؟ لا شيء، أو بعض الشيء، أو ربما نصف الشيء. كيف أستطيع أن أتذكر هذا الكتاب كاملا بفصوله، بأبوابه، بأرقامه، بصفحاته، بمؤلفه، بمعلوماته، كيف يمكن ذلك؟ لو استطعت أن أجعل هذا الكتاب كله في خريطة ذهنية Mind map. كيف ذلك؟ بأن آتي إلى العنوان الرئيسي للكتاب مثلاً وأكتب: عنوانه كذا، ثم أدخل على الفهرس، الباب الأول كذا ويتفرع منه واحد، اثنين، ثلاثة، ويتفرع من اثنين واحد، اثنين، ثلاثة كل شيء أكتبه بعبارة عن إشارات بسيطة وكلمات بسيطة، مجرد ما أنظر إلى ورقة واحدة تلخص هذا الكتاب فأنا استطعت أن أجعل هذا الكتاب بدلا ما كان عبارة عن معلبات في ذهني أصبح شبكة متداخلة من المعلومات أربط أولها بآخرها بأوسطها لأخرج منها بإبداع.

إذن الخارطة الذهنية هي أداة، بمعنى هي وسيلة، بعض الناس قد يغرق في الوسيلة ويجعلها هي الهدف الأساسي، نقول هي أداة تساعد، لو أغرقت فيها وأصبحت هي شغلك الشاغل نقول لك: قف، لابد أن تكون هي الأداة والوسيلة التي توصلك إلى غاية أخرى.

من الذي يستفيد من الخارطة الذهنية: يستفيد منها كل إنسان، يستفيد منها الطالب، يستفيد منها المدير، يستفيد منها الموظف، ربة البيت، الطفل، العالم، المبرمج، والباحث يستطيع أن يستفيد منها، لماذا؟ لأنه نعرف يستطيع أن ينظم بحثه من دون أي عناء ويكون مستحضرًا لبحثه في ورقة واحدة، في صورة واحدة، في شجرة واحدة.

لماذا نستخدم الخريطة الذهنية:

- لأنها تعين على التفكير الابداعي،
- لأنها تربط المعلومات بعلاقات،
- لأنها تجعل المجال مفتوحاً للإبداع، عندما تكتب الخارطة الذهنية فأنت تبدع في رسمها، تبدع حتى في محتواها، تبدع حتى في قضية كيف ربطها مع بعضها البعض،
- لأنها تعين على إدراك الشيء وفهمه، مجرد ما تكتبه أمامك وتتخيله، وتتذكره، فأنت تستطيع أن تدرك معناه ومفهومه وأنت لا تكتب شيئًا في هذه الخارطة إلا وقد فهمته،
- لأنها تعطي تفريعات، وهذه التفريعات ترجعك إلى الأصل الجذر الأساسي، أو نواة الأساسية لهذا الموضوع، ثم تتفرع منه الأشياء الأخرى
- كما أنها تساعد في القراءة والمراجعة، فعندما مثلاً تقرأ كتابا وتلخصه في خارطة ذهنية، تستطيع أن تسترجعه في دقيقة واحدة أو في دقيقتين، مجرد نظرة واحدة تنظر إلى الخارطة الذهنية فأنت تستذكر الكتاب كاملاً.

كيف تستخدم الخارطة الذهنية:

تبدأ بوضع دائرة في الوسط (هذا نوع من الخرائط الذهنية)، ثم تكتب فيها الفكرة الرئيسة أو الرئيسية، تكتب مثلاً: عنوان البحث، مثلاً: ما هو أثر الطلاق في تشتت الأبناء؟ هذا عنوان رئيسي، ثم تتفرع منه، تكتب الطلاق، تكتب الأثر، تكتب التشتت، تكتب الأبناء، ماذا تقصد بالتشتت؟ بالطلاق؟ أي نوع من الطلاق، الطلاق البائن، الطلاق الرجعي، أو الخلع، إلى آخرة، ثم تأتي بعد ذلك إلى قضية الآثار، هل هي أثار شخصية، أثار نفسية، وتتفرع من الآثار النفسية إلى أشياء أخرى مثل الاضطراب، الخوف، الضياع، والآثار الاجتماعية لو مثلا كانت تتعلق بقضية الفساد، هل هو الفساد الأخلاقي أو فساد آخر، وقضية العنوسة، وهكذا. فتجد أنك تستطيع أن تجمع كماً هائلاً من المعلومات بوضعها في الأفرع.

إذن، أول شيء الفكرة الرئيسية، ثم الأفكار الفرعية، ثم الأفكار الثانوية، وقد تُفصِّل في الأفكار الثانوية، بوضع أفكار ثانوية الثانوية، وهكذا. تبدأ أولا بالفكرة الرئيسية في المنتصف، ثم تضع الورقة بالعرض مثلا وتستخدم ورقة غير مسطرة، والدائرة التي في الوسط تكتب فيها العنوانُ ثم تفرع بعد ذلك من كل شيء، ثم تفرع من كل فرع فرعاً آخر أو بالعكس ، طبعًا تستخدم الألوان حتى تميز كل فرع عن غيره، ثم تستخدم الأسهم في الربط بين التفريعات، وأحيانا قد تستخدم الرموز أ، ب، ت، إلى آخره.

متى أستخدم الخارطة الذهنية؟

في كتابة الملاحظات، الدروس، المحاضرات، قد أستخدمها في الاجتماعات، قد نستخدمها في كتابة التقارير والأبحاث، وهذا هو مجالنا، قد نستخدمها في التخطيط، سواء كان التخطيط على المستوى الشخصي أو على مستوى المنظمة أو على مستوى الدولة بشكل عام، أيضًا قد نستخدمها في حل المشاكل، وفي التفكير الإبداعي، قد مثلاً تريد أن تدرس مشكلة معينه سواء كان على المستوى الشخصي، أو مستوى زملائك أو على مستوى أوسع من ذلك، فتجلس مع نفسك أو مع زملائك وتبدأ تفكر تفكيراً إبداعياً، بحيث تضع التفريعات، هذه قد تستخدم في تحضير الدروس، أو في ال Presentations في العرض، أو في الخطب حتى في خطب الجمعة، أيضًا قد تستخدم في التعليم، أو في التعلم، في الكتب، في المذاكرة، وقد تستخدم في العصف الذهني ونعني بالعصف الذهني Brainstorming وهو أن يجتمع مجموعة من الأشخاص ويفكروا في موضوع حر، ويكون هناك ضابط ويكتب كل شخص منهم الأفكار في وقت قصير ومتروك للجميع مجالاً ليفكر ويكتب فكرته.

الخريطة الذهنية نضعها أولا على الورق، ثم تخزن في العقل، ثم تكون دائمًا مع الإنسان لكي يستخدمها.

من الأمثلة على الخرائط الذهنية نأخذ مثلاً: موضوع السعادة. نضع كلمة "السعادة" في الوسط، نتفرع منها تفريعات مثل: تقوى الله، الرزق الحلال، المولود الجديد، سداد الديون، الخشوع في الصلاة، الصحة، والرياضة، بر الوالدين، اجتناب المعاصي، نأخذ مثلاً قضية تقوى الله، مراقبة الله تعالى في السر والعلن، فعل ما يأمر الله سبحانه وتعالى به، واجتناب ما ينهى الله عنه في الرزق الحلال، يكون في العمل، صدقة، الاستغفار، العمل يكون مثلاً عمل حر عمل حكومي إلى آخره فتضع تفريعات متعددة تستطيع أن تصل من خلالها إلى هذا الأمر.

وحتى لا يضيق بنا الوقت نأخذ هناك أمثلة الحقيقة رائعة جدًا، ما يتعلق بكتابة البحوث، تلخيصها.

كيف نستخدم الخارطة الذهنية في كتابة البحث:

أولاً: أضع خطوات البحث، أو عنوان البحث في الوسط، ثم أكتب المشكلة كتفريع، تحديد المشكلة، تحديد الأهداف، الدراسات السابقة، منهج البحث، البيانات والأدوات وهكذا، ثم أتفرع مثلاً من المشكلة، ماهي المشكلة؟ أهميتها، الأهمية العلمية، الأهمية العملية، وتكتب. فكل فرع هذا يعينك كثيرًا على ترتيب أفكارك البحثية وتصل

من خلالها إلى تحقيق أقصى درجات الاستفادة. لماذا؟ لأنها أولاً تعينك على التركيز، وتعينك على تحديد المسار، وتعينك على ترتيب الأفكار، وتعينك على الإنجاز، فغالبًا الإنسان قد ينسى، قد تغيب عنه الأفكار، ولكن إذا دونها وبطريقة الخرائط الذهنية فإنه يستطيع أيضًا أن يتذكرها بأسرع وقت ممكن.

المهم أن تجلس مع نفسك، وقد تعرض أيضًا خارطتك الذهنية على أشخاص متخصصين، هناك أناس متخصصين في هذا المجال يعني ممكن أن يفيدوا الباحث في تحديد نطاق البحث من خلال الخارطة الذهنية.

أنا أنصح حقيقة كل أحبتي وأخوتي الطلاب بأن يهتموا بهذا المجال وأن تأخذ فيه دورة تدريبة، والحقيقة مجال الإنترنت مفتوح جدًا، الآن تستطيع أن تدخل على اليوتيوب أو على الجوجل أو أي محرك بحث وتكتب "الخارطة الذهنية"، سيعطيك كما هائلا من الدورات التدريبية تستطيع أن تأخذها عن بعد، لكن إذا أردت أن تأخذها وتأخذ عليها شهادة لأنها تفيد في السيرة الذاتية ممكن أن تحضر فيها دورة، لكن إذا أردت أن تستثمرها في مجال البحث العلمي فيمكن أن تحضر أو تشاهد مقاطع للخارطة الذهنية على اليوتيوب، أو على الفيديو، أو تشترى من المكتبات كتبا لهذا الغرض، أو أقراص مدمجة (CD) ، وتستطيع أن تأخذ منها وتتعلم منها، فأنصحكم كثيرًا وأشدد على هذا الأمر لأنها مفيدة جدًا في تحديد البحث وكتابة خطوات البحث، يعني بدلا من أن تحمل معك أوراقك، وفي كل مرة تأخذ الكتب، وتأخذ الأوراق معك لكي تستذكر ما وصلت إليه في بحثك، يمكنك في ورقة تكتب فيها هذه الخارطة الذهنية، وتحدد أجزاء البحث ،وتنتهي فيه بذلك في أسرع وقت ممكن.

هذا ما أردنا الحديث عنه في هذه المحاضرة وإلى لقاء قادم بإذن الله تعالى في محاضرة قادمة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **إيمان عثمان**

قام بالمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة: **خلدون الأتاسي**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط وإعادة الصياغة، والإخراج النهائي:

رئيفة درويش



مناهج البحث العلمي ومصادره

د. خالد محمد النقية

المحاضرة التاسعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. مرحبا بكم أعزائي الطلاب في هذه المحاضرة التي تقدم لكم ضمن برنامج الإمام السعدي رحمه الله، المستوى الأول، والذى تقدمه أكاديمية تفسير للدراسات القرآنية، وهذا المنهج الذى يعنى بمناهج البحث العلمي. تحدثنا طوال المحاضرات السابقة عن أشياء كثيرة جدا في هذه المادة، ووصلنا الآن إلى قضية أن الباحث بدأ بالفعل في بحثه وجمع بياناته، وتوفر لديه كمية هائلة جدا من المعارف، فكيف يمكن له أن يصنف هذه المعلومات أو هذه البيانات التى تم جمعها وهى كثيرة جدا؟ فنقول أنه لا بد أن يتم ذلك الأمر على مراحل، وهذا هو موضوع محاضرة اليوم هو:

مراحل جمع المادة العلمية، وتحريرها، وتصنيفها، وتوظيفها، وتركيبها

المرحلة الأولى: مرحلة جمع المعلومات من مصادرها:

- هذه المرحلة من المفترض أن تكون قد تمت من قبل، وهي مرحلة جمع المعلومات من مصادرها التى وجدت فيها سواء كانت هذه المصادر مراجع أمهات الكتب، أو مراجع مباشرة أصلية، أو غير أصلية غير مباشرة، وسواء كانت مراجع تاريخية، أو نقوش، أو خرائط أو مخطوطات، أو وثائق، أو جمع شفهى من مجتمع الدراسة. فعلى حسب موضوع البحث نفسه، وعلى حسب ما يريد الباحث الوصول إليه، والحصول عليه تختلف المادة التي يجمعها الباحث.
- وسبق أن ذكرنا بأن هناك مصادر أو أوعية للمعلومات المعرفية كبيرة جدا، هذه المعلومات يستطيع الباحث من خلال معرفته الحصيفة، وصبره الطويل وجلده، ومن خلال حكمته ،وحنكته، ومن خلال مهارته كذلك فى أن يكون محددا ودقيقا، يستطيع أن يصل إلى هدفه بأسرع وقت، وبأقل جهد.
- وهذان العنصران وهذه المعادلة، **معادلة الوصول إلى المعلومة بأسرع وقت وبأقل جهد، ضرورية أن تكون من مهارات الباحث، حتى لو صرف عليها من ماله لكى يتعلمها.**
- فكما قلنا من قبل ونكرر كثيرا بأن وسائل التقنية والتكنولوجيا قد أعطتنا فرصا كبيرة، وقد أعطتنا مجالا واسعا جدا لأن تصل المعلومات إلى الباحث وهو فى مكانه، أيا كانت هذه المعلومات، سواء كانت معلومات علمية، أو معلومات شفهية، أو معلومات من مصادرها الأولية، أو معلومات من مصادرها الثانوية، أو معلومات من مخطوطات، فأنت كباحث قد تأتى إليك صورة المخطوطة بكل يسر وسهولة على عنوانك

الإلكتروني، أو حتى على جهازك المحمول، على هاتفك الكفى، بمجرد أن ترسل إلى الموقع الذى يجمع هذه المخطوطات وتشترك معهم. أو حتى بعض المواقع قد تعطيك صورة من الوثيقة بالمجان.

- فلم يعد، في الحقيقة، هناك عذر للباحث أيا كان هذا الباحث لأن يقول: والله أنا لم أجد فى المجال الفلانى شيئا، أو أنا لم أعثر على معلومات، أو أن يعتبر أن موضوع هذا البحث الذي يبحثه موضوعا جديدا لم يسبق أن تطرق إليه أحد. هذه الكلمة التى يقولها بعض الباحثون بتعاظم وبغرور، أو لتبرير أنهم ليس عندهم الصبر والجلد للبحث فيقول لم أجد شيئا، هذا خطأ لأنه لا بد فى كل علم أو فى كل فن يظهر، لا بد أن يكون قد سبقك إليه أحد، وإن كان بالإشارة، أو بالهامش ،أو بأى شئ.
- والمفترض أن يبحث الباحث عن كل من كتب عن هذا الموضوع من قريب أو من بعيد، فى قديم أو فى حديث، وبالرجوع إلى هذه المعلومات التاريخية والمعلومات الموجودة فى أوعيتها المعرفية، سواء كانت قواعد معلومات، أو كانت أمهات كتب، أو كانت موسوعات، أو كانت كما قلنا مخطوطات، أو نقوش، أو غيرها ،حسب موضوع البحث نفسه فإنه لا بد للباحث أن يجمع هذه البيانات.
- الآن السؤال الأهم هو: **هل يكتفى الباحث بأن يكون كحاطب الليل الذى يجمع كل ما وقعت عليه عينه، ووقعت عليه يده من المعلومات، لكى يصبح فى النهاية عنده كم هائل جدا من المعارف والمعلومات التى لا يستطيع أن يصنفها** . وهذا يقودنا للمرحلة التالية لمرحلة جمع المعلومات.

المرحلة الثانية: مرحلة تصنيف المعلومات التي تم جمعها وتبويبها:

- تحدثنا فيما مضى عن تقنيات تتعلق بالخرائط الذهنية، وما يتعلق بالبطاقات والأرشفة، وما يتعلق بقضية كتابة الملاحظات notes،وما يتعلق بالتحديد بأقلام الhighlight أو المحددات على الكتب، وما يتعلق بتصوير الكتب واستعارتها.
- كل هذه وسائل وأساليب يمكن للباحث أن يطرقها من أجل أن يصنف المعلومات التى توصل إليها وجمعها، طبعا على حسب الموضوع، أو على حسب المنهج الذى اتخذه الباحث، وعلى حسب الأداة التى اتخذها الباحث فى جمع البيانات أو المعلومات.
- فلنفرض مثلا أن الباحث يبحث فى مجال العلوم الشرعية، فإن ما سيصل إليه وما سيطبقه يختلف عن الباحث الذى يريد أن يطبق شيئا تجريبيا، أو الباحث الذي يريد أن يطبق دراسة ميدانية للحصول على المعلومات، مايسمى بال survey أو المسح الاجتماعي. فلكل فن ولكل مادة علمية ما يناسبها من أدوات جمعها والحصول عليها، ولذلك يجب أن يكون الباحث متسع الأفق، ذا سؤال يسأل المختصين ويسأل أساتذته، ويسأل المشرف عليه، كيف يمكن أن أصل إلى هذه المعلومات؟، ما هى المصادر التى أستطيع أن أستخدمها لأصل إلي المعلومات التي أريدها؟، ثم كيف يمكن أن أصنف هذه المعلومات؟

- أسلوب الخارطة الذهنية Mind Map أؤكد عليه وأكرره، هو أسلوب جيد قد يفيد مع بعض الباحثين، وقد لا يفيد مع بعضهم، لكنه بشكل عام من الأساليب المميزة، ومن الأساليب المختصرة التى يستطيع الباحث من خلالها أن يجمع أكبر كم من المعلومات من خلال خارطة فى ورقة أو ورقتين يبرزها أمامه لكى ترتب أفكاره، ولكى تحميه من التشعب ومن التشتت الذى قد يصل إليه الباحث من خلال بحث الكم الهائل من هذه المعلومات التي بين يديه.
- أنا حقيقةً أشبه الباحث كأنما هو شخص أو رجل يمشى وضع أمامه هدف، وهذا الهدف هناك بعيد، وعندما بدأ المسير وجد أمامه طرقا متشعبة، بنيات الطريق، هذا الطريق سريع، وهذا طريق آخر، وهذا طريق جبلى، وهذا طريق صحراوى، وهذا طريق مظلم، وهذا طريق فيه عوائق، وهذا طريق مسدود، وهذا الطريق منار، وهذا الطريق مفروش بالورد، وهذا الطريق محفوف بالشوك، عدة طرق ، وعدة أساليب. فيقف الباحث بقدمه الأولى على أول طريقه ليسأل نفسه سؤالا: أى طريق أسلكه للوصول إلى هدفى؟ ما هو هدفك أيها الباحث ؟ هدفى هو أن أصل إلى التحقق من معلومة، أو البحث عن معلومة لم يتم التحقق منها من قبل، أو تم التوصل إليها ولكن لم تثبت، أو تأكيد معلومة معينة، أو كتابة توصيات و تقارير.. وهكذا حسب ما يهدف إليه الباحث.
- فهدفي هناك بعيد وأنا الآن أقف على بداية الطريق، أو ما يسمى بالخطوة الأولى ال first step . قبل الدخول فى هذه الطرق المتشعبة التى أمامك، ثم تضيع ويضيع وقتك وجهدك وتظل تندب حظك على أنك سلكت هذا الطريق الصعب بدلا من أن تسلك طريقا سهلا يؤدي إلى النتيجة، عليك أن تسأل نفسك: ما الذي أريد الحصول عليه؟ ثم هل باستطاعتي وبقدراتي المتاحة الآن أن أصل إلى هذه المعلومات وإلى هذا الهدف؟ ثم ما هى الطريقة التى يتم من خلالها تصنيف هذه المعلومات؟.
- السالك فى هذا الطريق بلا شك عندما يبدأ فيه سيرى أمامه كما قلنا تفرعات، وسيرى أمامه مشاهد كثيرة جدا، سيرى أمامه مغريات ،سيرى أمامه مواضيع مختلفة تماما: مدن ،وقرى، قمم جبال ..إلى آخره. فإذا لم يعرف هدفه الذي هو هناك ويتجه إليه، فإنه ربما يركن يمينا أو يسارا، وبالتالى يضيع وقته دون الحصول على مايريد. فلا بد منك وأنت تجمع بياناتك أن تبدأ بخطة، والتى قلناها من قبل، وهذه الخطة هي التي تحدد مسار الباحث، وتمنع التشتت، وتمنع الازدواجية، وتمنع ضياع الجهود، وتوجه هم الباحث واهتمامه وكليته وجوارحه وطاقاته وإمكانياته لأن يسير فى الاتجاه الذي يؤدي به إلى الهدف الذي ينشده . إذن، **على الباحث أن يعرف هدفه جيداً أثناء جمع بياناته وعند وضع خطة البحث.**

ما هو هدفك أيها الباحث؟ هدفك يبدأ من السؤال الأول الذي طرحناه في بداية هذه المحاضرات ويمكنك أن تعتبر هذه المحاضرة كأنما هى مراجعة وتأكيد لما تم أخذه قبل من مبادئ ومن مهارات.

- السؤال الأول الذي يطرحه الباحث هو الذي يتمثل فى العنوان الرئيسى أو الرئيس، والذي ينقسم إلى تساؤلات فرعية، هو بمثابة الجوعة المعرفية، أو بمثابة علامة الاستفهام التي يريد الباحث أن يغلقها أو أن يجيب عليها. فإذا سار الباحث في بحثه دون أن يستحضر تساؤلاته الأولى، أو كانت تساؤلاته الأولى تساؤلات عامة كبيرة متشعبة لا يمكن أن تحدد أطره التى يريد أن يسير فيها؛ فإنه بذلك يبذل جهده هباءً منثورا، وكأنما هو يطارد سراب قد يصل إليه بعد لهاث وجهد وجد فيجد ما يحسبه ماء فإذا هو سراب بقيعة. فلذلك أنصح إخوتي الباحثين والطلاب وأقول لهم: **لا تبدأ خطوة في بحثك قبل أن تكون الخطوات التى قبلها واضحة ومحددة، والتزم بها، قضية الالتزام الحقيقة مهمة جدا.** كثير من الباحثين قد يضع خطة، وخطة رائعة جدا، وأقرتها المجالس العلمية وأقرها مشرفو المادة ومشرفو البحث وقالوا هذه خطة رائعة ولكن ما الذي يفيد؟ وما هى الفائدة التى يجنيها الباحث، أو الطالب عندما يرسم خطة دقيقة رصينة رزينة واضحة محددة، ثم هو يضعها ويركنها على رف جانبا ويسير بطريقته الفوضوية العبثية؟ لا شك أن هذا لن يصل.
- لذلك لا بد أن تكون هذه الخطة مثل خطة المهندس الذى يريد أن يبنى بيتا ووضع الأساسات، وعمل دراسة كم سيتكلف، ورسم الأبعاد والقواعد الأساسية، ومتى يبدأ بالمرحلة الأولى، ثم المرحلة الثانية، والمرحلة الثالثة، والمرحلة الرابعة، حتى يصل إلى تسليم مفتاح البيت جاهزا. هذه خطة مهندس معماري، ما ظنكم لو أن هذا المهندس المعماري، وهذه الخطة التى بين يديه، كتبها وتعب فيها ووضع أبعادها، ووضع فيها الشروط والافتراضات، ووضع فيها كل ما يمكن توقعه من مشكلات، ثم ركنها جانبا وجمع كل عماله وأدواته وبدأ يحفر فى الارض لكى يبنى بيتا، ماذا تتوقعون؟ هل سيتم هذا البيت بسرعة؟ قد يتم ولكن كيف؟ وهل سيكون هذا البيت صالحا للإستخدام؟ وهل سيكون هذا البيت هو البيت الذي أراد أن يبنيه أصلا؟ هل هو بالمواصفات التى وضعت فى الخطة أو فى المخطط؟ لا شك أنها لن تكون كذلك، لماذا؟ لأن من وضع أمامه هدف وخطط للوصول إليه بإذن الله تعالى وتوفيقه لا بد أن يصل إليه، ولكن من وضع هدفا ثم لم يخطط له، وسار هكذا سبهللا، واعتمد على جهوده الذاتية التي هى عشوائية فوضوية فإنه لن يصل، وسيمر الوقت، ويفني عمره وشبابه وشيبته وهو لم يصل إلى شئ .
- فلذلك جمع البيانات مرحلة مهمة جدا. وقبل جمعها لابد أن تحدد ما الذى تريد أن تجمعه؟ أنت ستجد طوفان هائل من المعارف والمعلومات، كم هائل لاتصل إلى حدوده، بل هو أعمق من المحيطات، فإذا قلت لنفسك واعتبرت أن كل معلومة تجمعها مهمة سيصبح عندك كما هائلا من المعارف والمعلومات التي جمعتها، ثم لا تستطيع أن تختار بينها، ولا تستطيع أن تصنفها، ولا تستطيع أن تبوبها، ولم تضع لها فهرسة حقيقية وفق الأهم فالمهم ، ووفق العاجل وغير العاجل، ووفق القريب والبعيد، ووفق المباشر وغير المباش، ووفق الذى يخدم الهدف والذى لايخدم الهدف. هنا تصبح المعلومات التى جمعتها غير مفيدة.

- ولذلك بعد أن أحدد أولا سؤالى الأساسى في البحث، ثم تساؤلاتى الفرعية، ثم أكتب خطتى الأساسية التى أريد أن أطبقها، ثم أحدد أداة جمع البيانات، والمنهج الذى أريد أن أسلكه فى بحثى، تبقى قضية الآن دخلت الميدان، وتسلحت بالخطة، وتسلحت بالأسئلة والأهداف، وتسلحت بالمهارة، وتسلحت بالصبر، وتسلحت بالشوق للوصول إلى معلومات، لكننى وأنا أسير فى طريقى قد أجد من المعلومات التي أحملها معي الكثير، كتاب من هنا، وموسوعة من هنا، والسؤال الأهم الذي يجب أن أسأله لنفسي هو: أي معلومة من هذه المعلومات لها فائدة مباشرة لبحثى؟ هل هى تخدم هدف الدراسة أم لا؟ إذا لم تخدم، علي أن أنحيها جانبا ثم أنطلق وأبحث عن غيرها. وبهذه العقلية، عقلية ما تسمى عقلية المصفاة، عقلية التصنيف، عقلية التصفية هى التى تستطيع أن تجعل الباحث يحدد دائما هل هذه المعلومة مهمة أو غير مهمة.
- قد يقول بعض الباحثين خذ هذه المعلومة معك قد تحتاجها فيما بعد. هذا منهج الحقيقة خاطئ، فإذا كنت تريد أن تأخذها معك، خذها وحدد أهميتها وأكتب عليها فى الأعلى فى كارت أو بطاقة أو شئ ان هذه المعلومة هنا مهمة جدا ومباشرة لخدمة أهداف البحث، أو هذه معلومة غير مهمة، أو هذه المعلومة قد أحتاجها مستقبلا، أو ميزها بألوان مختلفة، وهذه الطريقة أنصح باتباعها، وهو تحديد المعلومة المهمة يكون باللون الأحمر، وما يكون أقل أهمية بالبرتقالى، ومايكون أقل بالأصفر، ثم بالأخضر، ثم بالأزرق، وهكذا.
- فإذا وضعت هذه الألوان على الأوراق التى تكتبها فإنك فى المستقبل عندما تريد تصنيفها في المستقبل يسهل عليك تصنيفها مباشرة . فتأتى مثلا إلى غرفتك، أو إلى مكتبك، أو إلى مكتبتك، أو إلى المكان الذى تبحث فيه فتجد أمامك كما هائلا من الأوراق، ولكنها مصنفة: أزرق، أحمر، أصفر، أخضر...إلى آخره.. أو تجدها مكتوب عليها: مهم أو غير مهم، مباشرة أو غير مباشرة، تخدم البحث أو لا تخدمه ....إلى آخره. فيسهل فرزها وتصفيتها.
- ثم بعد ذلك تأتى فى نفس المواد التى أنت صنفتها أعِد تصنيفها مرة أخرى لأنك ستجد أن فيها ما كنت تظنه مهما أصبح غير مهم، وما كان غير مهم قد يصبح مهما. هذه العقلية عقلية الترتيب والتبويب للمعلومات من مصادرها المختلفة هي مرحلة مهمة وتسمى بجدولة وعرض المعلومات.
- الآن جمعت بياناتى وصنفتها، حددت مهمها من أهمها من غير مهمها من مهملها من الأشياء التى قد تترك لا فائدة منها، تأتى بعد ذلك قضية **كيف أضع هذة المادة العلمية فى صورة بيانات تقدم، أو منتج يقدم للقارئ**، سواء كان هذا القارئ قارئ مُقَيِّم للمادة، أو قارئ يهمه أن يصل إلى المادة. كيف تكون هذه المعلومات مهمة له؟ عليّ أضع لها تبويبا، هذا التبويب يخدمنى كثيرا فى أن تكون معلوماتى محددة.
- إذن، التصنيف الذي قمت به يجب أن يكون وفق اعتبارات معينة، إذ أن التصنيف أنواع: التصنيف وفق الأهداف، التصنيف وفق الأهمية ،التصنيف وفق منهج البحث، التصنيف وفق تساؤلات الدراسة،

التصنيف وفق الأهم فالمهم. سمِّ ما شئت من التصنيفات أو اخترما شئت، المهم **عندما تختار تصنيفا لابد أن تلتزم به وأن توضحه**.

- كثير من الباحثين يقع فى خطأ منهجى ألا وهو: يبدأ فى البحث ولا يضع فى البداية طريقته ولا أسلوبه والاحترازات التى يريد أن يبينها للقارئ، فيقول على سبيل المثال: أداة جمع البيانات مثلا هى أداة الاستبانة، ثم لا يحدد نوع الاستبانة، فتجد أن هذه الاستبانة قد لا تخدم هدفه المباشر، أو هو لم يحدد نوع الاستبانة هل هذه الاستبانة مفتوحة، أو مغلقة، أو شبه مغلقة. فإذا بدأ فى البحث، بدأ يكتب الاستبانة، كتب إستبانة مغلقة بينما البحث يناسبه الاستبانة المفتوحة، أو قال مثلا أنا سأبحث من خلال المعلومات التى هى من عام 1425 حتى عام 1435، عشر سنوات مثلا ثم وجد معلومات قبل هذا العام، أو بعد هذا العام ثم أدرجها. هنا هذا خطأ منهجي، ماهو هذا الخطأ المنهجى؟ هو أنه وضع حداً ، هذا الحد يسمى بال limit أو limitation ولكنه تجاوزه إلى الأمام أو إلى الخلف أو لم يلتزم به ،فهذا خلل يقع فيه بعض الباحثين .
- لكن إذا أردت أن أصنف بياناتى أصنفها وفق ماذا؟ وفق الاشتراطات التى وضعتها. هذه الإشتراطات تحدد مسار البحث، وتحدد مسار البيانات، وتحدد أتجاهاتى، فأضع الأبواب وأيضا أحلل إذا كانت هذه المعلومات تحتاج إلى تحليل، سواء كان تحليل بالمصداقية، المصداقية الداخلية أو المصداقية الخارجية.
- مثلا معي الآن وثيقة، هل هذه الوثيقة فعلا وثيقة عن الأصل أم لا، أم هى مزورة؟ هذا تحقيق، أو تحليل. هل العينة التى أنا أخذتها من المريض الفلانى أو من التربة الفلانية او من الزرع الفلانى أو من -أعزكم الله- الحيوان الفلانى، هل هى فعلا تم تحليلها إلى مكوناتها وفق الأجهزة والأدوات والبرامج الدقيقة التى تعطينى نتائج دقيقة أم لا؟
- الأمر الثانى :هل البيانات العامة التى أخذتها مثلا من كتب الصحاح، أو من كتب التفسير ،أو من أي كتب؟ هل هى من مراجعها الأصلية أو من مراجعها الثانوية؟ هل هى أيضا مراجع تم الاستدراك عليها فى نسخ أخرى غير هذه النسخة التى معى أم لا؟ فهذا التحليل مهم جدا.

المرحلة الثالثة: مرحلة توظيف المعلومات:

- بعد جمع البيانات أو المعلومات يأتي التحليل والتصنيف والترتيب، ثم تأتى قضية **التوظيف**، ما معنى التوظيف؟ أن أوظف هذه المادة التى أخذتها فى أن تخدم أهداف الدراسة، تخدم تساؤلاتها الأولى التى بدأت بها فى بداية بحثى، وتخدم توصيات علمية يستطيع الباحث فى نهاية البحث أن يقول: هذا البحث المكون من أربعمائة أو خمسمائة صفحة، توصياتى فيه كذا وكذا وكذا....بناءً على ما وصلت إليه من طريقة كذا، ومنهج كذا، وأداة كذا.... وهكذا.

- إذن أنا جمعت بياناتى، ثم حللتها، ورتبتها، وصنفتها، والآن بدأت فى توظيفها؛ إما فى توظيف كمنتج ككتاب، أو كرسالة، أو كاستدراك ،أو كسؤال جديد، أو إجابة على مشكلة لم تجد حلا ، أو توظيفها علميا على الواقع، فقد تكون هذه المعلومة أو هذا البحث الذى وصلت إليه فى بياناته آليات ممكن تطبق على الواقع. مثلا قضية أساليب مواجهة الفقر فى المناطق النائية، ووضعت عدة ممارسات أو عدة وسائل، وأساليب، واستراتيجيات لمواجهة الفقر. هذه الاستراتيجيات ستكون غير مفيدة useless إذا لم يكن هناك توظيفا لها على أرض الواقع.
- والسؤال المهم جدا هنا هو: **هل الباحث هو المعني بتوظيف البيانات والمعلومات والنتائج؟**
- والإجابة تختلف فيما إذا كانت النتائج تخدم شيئا معرفيا نظريا، أم تخدم شيئا عمليا أم علميا، ثم هذا الشئ العلمي، هل هو فى حدود صلاحياتك أيها الباحث أم فى حدود صلاحيات آخرين وأنت تقدمه لهم كمقترح؟
- ونقول: إذا كان ما يقدمه البحث من معلومات ونتائج وتوصيات هو في حدود صلاحيات الباحث، فعليه أن يقدمه كمشروع قابل للتطبيق ويتبناه، وإذا كان فى حدود صلاحيات آخرين، فعلى الباحث أن يقدمه كمقترح أو توصية وعلى الجهات الأخرى المقدم لها أن تتبناه أو لا تتبناه، الأمر راجع إليها. إذن، كل ذلك على حسب هدفك أنت أيها الباحث من إجراء بحثك.

مرحلة تركيب المعلومات والبيانات

نأتى إلى قضية تركيب البيانات أو تركيب المعلومات، أحيانا قد تكون المعلومات غير مرتبة، وليس لها تسلسل منطقى بحيث تبدأ من المعلومة الأولى ثم نبني عليها باقي المعلومات لنصل إلى النتائج.

عندما تكون هذه المعلومات التى جمعتها معلومات مختلفة، ومختلطة، ومتعارضة، ومتناقضة، لم أركبها جيدا، فلن أصل للنتائج المرجوة. فتركيب المعلومات الصحيح يأتي بأن أكون محددًا بدقة أن هذه المعلومة المعينة ينبغى أن تسبق معلومة(أ) مثلا، ومعلومة (أ) ينبغى أن تكون بعد معلومة (ب)، ومعلومة (أ) ومعلومة (ب) ومعلومة (ج) تؤدى إلى الإجابة على تساؤل (أ)، أو التساؤل الأول، وهكذا. فإذا ركبت معلومات البحث بهذه الطريقة وبتسلسل منطقي، أستطيع عندئذ أن أصل فى النهاية إلى قرار نهائى فى البحث، وأن أقدم بحثا يكون بحثا رصينا، متينا ،قويا، مؤصلا ، اتبعت فيه منهجا علميا، اتبعت فيه أداة علمية دقيقة صحيحة، واختبرت هذه الأداة، وجمعت بيانات ومعلومات، وصنفت البيانات والمعلومات، وركبتها ووظفتها بأسلوب علمي سليم.

يأتى بعد ذلك الخطوة التى سنتحث عنها بإذن الله تعالى فى المحاضرة القادمة وهى كتابة وصياغة البحث.

أسأل الله جل وعلا أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **صفاء بودي**

قام بالمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط وإعادة الصياغة، والإخراج النهائي:

رئيفة درويش

